أدب الطبيب

في حضارتنا الإسلامية كنوز ، ظهر بعضها ومازال بعضها الآخر مطمورا في تبايا المخطوطات . والمخطوط كما نعلم كتاب نسخه صاحبه ، أو أحد تلاميذه يخط يده ، على ورق قديم ، ويخط يختلف قليلا أو كثيرا عما نكتب به الآن ، وظل حبيسا في إحدى المكتبات ، دون أن يعتنى به أحد الباحثين المحدثين لكي يخرج من حالته المخطوطة ، ويدفع به إلى المطابع الحديثة لكي ينشر بين الناس .

**

ويعلم الخبراء في هذا المجال أن هناك مئات الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية التي تتطلب حركة علمية كبيرة لبعثها من جديد ، حتى نتعرف منها على تاريخنا الثقافي والحضاري ، ونتواصل بها مع ماضيها الزاهر ، لا نعيده مرة أخرى ، فإن الماضي لا يعود ، وإنما لكي نواصل مسيرتنا على هداية . □

**

من بين هذه المخطوطات كتاب بعنوان (أدب الطبيب) ألفه علي الرهاوي في القرن الثالث الهجري ، الذي يقابل القرن السادس الميلادي ، أي منذ ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة .. فماذا يوجد فيه ؟ يقدم المؤلف مجموعة من التعليمات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب وهو يتعامل مع المرضى .

**

فمن ذلك أن يعتنى جيدا بنظافته الخاصة ، ومظهره العام ، وأن يتجنب في نفس الوقت كل ما يؤدي الآخرين حتى ولو كانت رائحة فمه ، لذلك ينصحه بعدم أكل الثوم أو البصل حتى لا يشم منه المريض ريحا كريها .

**

ومنها أن يحافظ دائما على سلامة أدواته وصيانتها ، لكي لا تتسبب في إحداث أمراض جديدة أو تنقل العدوى من مريض لآخر .

**

ومنها أن يهتم جيدا بتشخيص حالة كل مريض ، وأن يخصص لذلك (تذكرة) يكتب فيها اسم المرض وأعراضه ، ثم يحدد اسم الدواء الذي ينصح به ، وذلك لكي يسترشد بها فيما بعد ، أو لكي يسترشد بها طبيب آخر قد يأتي من بعده . □

**

ومنها أن يعامل المرضى بالرفق واللين ، حتى يتعرف منهم على الأسباب الحقيقية لأمراضهم . فإن المريض هو أعلم الناس بنشأة الداء في جسده ، وتطوره ، وأعراضه ، وآثاره المباشرة والجانبية . كما أن هناك أمراضا عضوية ترتبط بأمراض نفسية ومن هنا كان التعرف الجيد على المريض سبيلا إلى العمل على شفاؤه .

**

ومن أهم النصائح أن يتعرف الطبيب أيضا على أسرة المريض ومن يعيشون حوله ، وأن يختار من بينهم الشخص المناسب لكي يكلفه بإعطاء الأدوية له في الأوقات المناسبة ، وبالجرعة المحددة ، دون زيادة أو نقصان ، ودون خطأ أو إهمال . وهو يشير هنا إلى أمر هام ، فقد يكون العلاج جيدا ، ولكن أهل المريض لا يكونون على المستوى الثقافي الذي يؤهلهم لمتابعة علاجه ، ذلك أن المريض لا يدرك بنفسه الأوقات التي يتناول فيها الدواء ، فأحيانا ما ينام أو يذهب في غيبوبة ، ولذلك لابد من توعية أهله بذلك .

**

ومنها أن يتأكد الطبيب جيدا من عينات البول وأنها مأخوذة بالفعل من المريض . وهنا يذكر المؤلف بعض النوادر المضحكة ، فقد لاحظ ذات يوم أن عجوزا أحضرت له زجاجة كبيرة فيها بول ، وعندما سألتها عن كثرتة بهذا الشكل ، قالت إن سيدتها وعددا من صواحبها كلفنها بإرسال عينات إلى الطبيب ، وعندما وجدت المزجاجات كثيرة ، فقد وضعت العينات كلها في زجاجة واحدة كبيرة

!

**

ومن أجمل النصائح أن يواصل الطبيب مداومة الإطلاع على كتب الطب ، ومجالسة كبار الأطباء حتى يتعلم منهم . فإن الطب علم يقوم على تراكم التجارب ، لذلك ينبغي أن يتوازر الكثير منها لدى الطبيب ، إما من خلال عمله ، أو من الإطلاع على تجارب الآخرين ممن يزيّدون عليه فيها .

**

أما النصيحة التي توقفت عندها كثيرا فهي التي تدعو الطبيب إلى صيانة نفسه عن طلب المال ، وعدم تهافته على جمعه وتكديسه . لأن ذلك (يزرى) أى يهبط بمكانته بين الناس ، ومع ذلك فهو يؤكد للأطباء المجدد أن المال سوف يأتى فى النهاية ، لأن مهنة الطب مطلوبة دائما ، وأن الناس فى حاجة مستمرة إليهم . لذلك إذا كان الطبيب يعالج الكثير من الفقراء ، فإن شخصا ثريا قد يعطيه أضعاف ما يأخذه من هؤلاء الفقراء .

**

وأخيرا .. ألفت معى فى أن هذا الكتاب الذى يبلغ عمره 1400 سنة ، يصلح لنا وللاطباء فى أيامنا الحاضرة ؛!